

مؤسسة الشيخ عمي سعيد
ثقافة . تربية . تراث

الأيام الدراسية العلمية:

من الشيخ عمي سعيد بن علي الجربي [ت 927 هـ / 1521 م]
إلى الشيخ جمو بن موسى عمي سعيد [ت 1425 هـ / 2005 م]

المحاضرة الثالثة:

العشيرة والحركة الجمعوية
في المجتمع المزابي المعاصر
تنسيق وتكامل

إعداد:

د. أبو بكر صالح بن عبد الله⁽¹⁾

1- الدكتور: صالح بن عبد الله أبو بكر، خريج كلية الحقوق بشهادة ليسانس، ماجستير ودكتوراه دولة في الشريعة والقانون، أستاذ العلوم القانونية بجامعة باتنة، نائب بالمجلس الشعبي الوطني بالجزائر.

تمهيد:

يعطي المجتمع الإباضي المزابي الجزائري أهمية كبرى للفرد والمجتمع من خلال رؤية إسلامية ، هدفها الأساسي الحفاظ على أكبر قدر ممكن من تطبيق تعاليم الدين الإسلام والتي من أهم مقوماتها التكافل الاجتماعي ، وسهولة التأقلم مع كل الظروف التي يمكن أن يتعرض لها المجتمع عبر تاريخه الطويل منذ سقوط الدولة الرستمية إلى اليوم ، ومن أخطر المشاكل التي برزت في المجتمع المزابي المعاصر منذ الاستقلال إلى اليوم ، التزاحم والتصادم بين النظم العرفية التقليدية العريقة عامة ، والإدارات الرسمية للدولة ، مثل : التزاحم الحاصل بين نظام العزابة ومجلس عمي سعيد من جهة ومديرية الشؤون الدينية ووزارة الأوقاف واللجنة الوطنية للحج من جهة ثانية ، في مواضيع الأوقاف وصندوق الزكاة وبعثة الحج ، ورؤية الهلال. وكذا التداخل الموجود بين نظام الحراسة أو اليقظة من جهة وأجهزة الأمن من جهة أخرى ، في مجال توزيع الاختصاصات.

وكذا الحرج الحادث بين المدارس والمعاهد الحرة من جهة والمدارس الرسمية والثانويات من جهة ثانية ، في المجال التربوي.

ونخص في موضوعنا هذا العلاقة بين العشيرة كتنظيم اجتماعي عرفي عريق والجمعيات الرسمية أو المعتمدة المستحدثة النشطة في المجال الاجتماعي الذي كان أصلا من اختصاص العشيرة.

أولا: العشيرة في وادي مزاب:

تعريف العشيرة:

هي خلية اجتماعية تتكون من عائلات تنتسب إلى جد واحد ، وإن اختلفت ألقابهم فهم بطون عشيرة واحدة ، أو بنزول عائلات جديدة وانضمامها إلى العشيرة لصداقة ، أو تحالف ، أو لجوء ، تربطها الأخوة الإسلامية ، وتذوب فيها روابط العرق ، والدم والجنس.

ونظام العشيرة نظام قديم عرفه العرب في الجاهلية كغيرهم من شعوب العالم ، وقد أيده الإسلام بضوابط وقواعد جديدة لقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) ، وحتى المجتمع الأمازيغي في الجزائر كان وما زال يتكون من أعراش وعشائر ، إلى اليوم في جبال الأوراس ومنطقة القبائل ، لكن بروابط ضعيفة ، وأقل تنظيما وتماسكا مما عليه في المجتمع المزابي ، لأن المزابيين قد طوروا وجددوا هذا النظام وحافظوا عليه إلى اليوم ، والعشائر

هي بمثابة الجمعيات الخيرية المعاصرة، تعتمد على إمكانياتها الذاتية، وتقوم بدور كبير تجاه أبنائها تجسيدا لقوله تعالى: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ).

فكل مدينة من مدن وادي مزاب اليوم تتكون من عدة عشائر وكل عشيرة تتشكل من مجموعة من العائلات، وكل عائلة تتكون من مجموعة من الأسر تحمل لقبا واحدا يميزها عن غيرها. وللعشيرة شيخ يرأسها يختاره أفرادها عن طريق التزكية العامة، من بين أبرز شخصياتها، وتساعد إدارة العشيرة، وهي بمثابة مجلس إداري يتشكل من رؤساء العائلات غالبا، وغير محدود العدد، يتولى المجلس الإداري للعشيرة مهامها وإدارة شؤونها الخاصة والعامة، وعلاقتها بالعشائر الأخرى وباقي الهيئات العرفية والرسمية في البلد.

1) دور العشيرة:

للعشيرة دوران بارزان هما: الدور الاجتماعي والدور التربوي.

أ- الدور الاجتماعي:

1. الحفاظ على نظام الأسر والعائلات بضبط الأنساب عبر شجرة النسب.
2. تنظيم الأعراس في كل مراحلها، فردية كانت أم جماعية، حسب تنظيمات حلقة العزابة وأعراف البلد، وحلقة العزابة هي السلطة العليا في المجتمع الميزابي تتكون من علماء مخلصين لخدمة الدين والمجتمع، ويشرفون على تسيير المساجد ولهم تعاون وتنسيق كبير مع إدارات العشائر في البلدة.
3. الإشراف على المآتم وتنظيمها حسب تعاليم حلقة العزابة.
4. معالجة مشاكل الطلاق والنفقة والحضانة قبل وصولها إلى المحاكم.
5. تخفيف ثقل دية القتل الخطأ على القاتل بتوزيعها على أفراد العشيرة.
6. إحصاء الأرامل والقيام بشؤونهن وإلزام النفقة على الكفيل.
7. رعاية حقوق اليتامى، وتقسيم التركات، وتنفيذ الوصايا، تسجيل المواليد.
8. حراسة أموال السفهاء والمجانين والقصر والغائبين وتعيين وكلاء عليهم ومراقبتهم ومحاسبتهم.
9. جمع التبرعات من أغنيائها لصرفها على المحتاجين والمعوزين من أبنائها، لتخفيف التفاوت الطبقي في المجتمع، فالعيب ليس في وجود الطبقات في المجتمع وإنما العيب في الصراع، وتفشي المظالم، وهضم الحقوق.
10. رعاية وإعانة أبناء الفقراء النجباء والراغبين في مواصلة تعليمهم.
11. تنظيم صندوق الزكاة جباية وصرفا على مستحقيها من فقراء العشيرة.

ب- الدور التربوي:

1. التوعية الاجتماعية ، لتوثيق الصلات والقرابة بين العائلات.
2. توجيه الوالدين إلى الطرق السليمة في تربية ومراقبة الأبناء.
3. إصلاح ذات البين بين المتخاصمين ، سواء بين أبنائها أو مع غيرهم.
4. متابعة تعليم أبنائها ، وتشجيعهم معنوياً ومادياً بالجوائز والمحفزات.
5. تنظيم جولات توعية لأبنائها خارج وادي مزاب.
6. مراقبة سلوك كل أفراد العشيرة في كل المجالات.
7. معالجة الانحرافات الأخلاقية التي قد يقع فيها بعض أفراد العشيرة.

(2) تعاون العشيرة:

ترتبط العشيرة مع باقي هيئات البلد بعدة علاقات للتعاون والتآزر وخصوصاً مع المسجد الذي تمثله حلقة العزابة ، ومع باقي العشائر في البلدة وحديثاً بعد الاستقلال أصبح للعشيرة دور وتعاون مع المجلس الشعبي البلدي بواسطة مجلس أعيان البلدة.

أ- مع المسجد:

1. تنظيم التوزيع أو السرخة ، وكل الحملات التطوعية التي تنظم لمصلحة البلدة كلها.
2. الإشراف على الحراسة أو اليقظة ، بتشجيع ومحاسبة شبابها على المشاركة.
3. التعاون مع مجلس العزابة في الحالات المستعصية لعلاجها.
4. التعاون مع هيئة تمسيريين في كل شؤون المجتمع النسوي. و تمسيريين هيئة عرفية نسوية مكملة لمجلس العزابة ، تتكون من نساء صالحات ، ولها مهام اجتماعية في المجتمع النسوي كالتوعية الاجتماعية ومحاربة الآفات الاجتماعية ، والبدع والإشراف على الأعراس ومراقبة المهور حسب تعليمات المسجد وأعراف البلد.
5. التعاون مع هيئة إروان هي هيئة عرفية تتكون من الطلبة المستظهرين للقرآن الكريم والمتفرغين لطلب فنون العلم ومن مهامها : مساعدة هيئة العزابة في كل شؤون المسجد ، وقد تطورت الهيئة اليوم إلى معاهد معاصرة تشمل المرحلة المتوسطة والثانوية والجامعية لطلب العلوم الأدبية والشرعية.
6. التعاون مع هيئة إمسوردان وتشجيع أبنائها الأكفاء للانخراط فيها. و إمسوردان هيئة عرفية ، تختص بالخدمات العامة في المساجد ، والمقابر ، والكوارث الطبيعية ، والجفاف ، والجراد ، والفيضان ، والحرائق ،

وسقوط النخيل، وانهيار البنايات، والأمن، ومراقبة الآداب العامة بالحراسة التطوعية، بالتنسيق مع مصالح الأمن العامة.

ب- مع باقي العشائر:

1. تنظيم الأعراس الجماعية، والتي تشمل عدة عرس من مختلف العشائر.
2. المساهمة في التكاليف العامة للبلدة، كبناء السدود، وإصلاح الطرقات، وبناء أسوار البلدة، وأبراج المراقبة، وغيرها.
3. تكوين جماعة الضمان أو العرش أو الأعيان من رؤساء العشائر، لتشكيل المجلس الأعلى لوادي ميزاب، المسمى مجلس باعبد الرحمن الكرثي المختص في الشؤون العامة، المدنية، الاجتماعية، السياسية، لكل مدن ميزاب.

ج- مع المجلس الشعبي البلدي:

1. تعتبر جماعة الضمان، أو العرش، أو الأعيان، هي الصلة بين المجلس البلدي وباقي العشائر في البلدة. ومجلس الأعيان هو الذي يسهر على كل الشؤون العامة للبلدة، والعلاقة مع السلطة والمتساكنين، وفض المشاكل العامة، ومن مهامه متابعة نظافة البلد، وإصلاح الطرقات، وتنظيم الحملات التطوعية العامة، وإصلاح المرافق العامة كالسدود، والآبار، فهو بمثابة المجلس البلدي، قبل إنشاء المجالس الشعبية البلدية، واليوم يعمل مجلس الأعيان بالتنسيق مع المجلس البلدي.
2. تعتبر العشيرة حلقة إعلامية لتبليغ أغلب الإعلانات الرسمية البلدية، خاصة تلك الإعلانات التي تهم المواطن فتذكره بواجباته وحقوقه المدنية، كالتسجيل في سجلات الحالة المدنية، والتسجيل في قوائم الانتخابات، وتنظيم حملات النظافة العامة للبلدة، وتكوين ملفات الحصول على السكن، والتنبيه على أهمية متابعة التلقيح الصحي للأبناء، وتواريخ تنظيم قرعة الحج، وغيرها.

ثانيا: الحركة الجمعوية:

مقدمة:

يعتبر حق تأسيس الجمعيات في الجزائر حقا دستوريا مضمونا يجسد مبدأ حرية التعبير، كما ينص الدستور الحالي في المادة 43 على أن تشجع الدولة الحركة الجمعوية وتعمل على ازدهارها، وبناء على الدستور صدر قانون الجمعيات 30/90. والحركة الجمعوية جاءت لتعوض الفراغ الذي تركه انسحاب الدولة من العمل الاجتماعي، وبهدف إلى تأطير التكافل الاجتماعي والتضامن الوطني وتقوية الروابط الاجتماعية التي قد أصيبت ببعض الخلل في العشرية الأخيرة ولذلك خصصت لها الدولة وزارة خاصة سميتها وزارة

التضامن، كما أنشأت مديرية ولائية خاصة بالنشاط الاجتماعي ويتلخص دورها في تأطير النشاطات المرتبطة بالعمل الاجتماعي للدولة، وترقية حركة الجمعيات ذات الطابع الاجتماعي، لحماية الفئات المحرومة، والمعوقين، والأشخاص المعوزين، والمسنين، والطفولة المحرومة، ومن أهم هذه الجمعيات الفاعلة في المجتمع نذكر:

- جمعيات الأحياء.
- الجمعيات الثقافية.
- الجمعيات الرياضية.
- الجمعيات الخيرية.
- الجمعيات المهنية.

ثالثا: رؤية مستقبلية:

مقدمة: خصوصية المجتمع المزابي:

تتمثل خصوصية المجتمع المزابي، في تميزه عن غيره من المجتمعات، في باقي الجزائر بوجود تنظيمات عرفية عريقة متمرسة، لها تجربة ميدانية عملية، تشكلت عبر عشرات القرون، ورغم ما فيها من بعض النقائص والضعف سواء في طرق تشكيلها، أو تسييرها، أو الأشخاص المشكلين لها، إلا أنها تملك من المقومات، والمرجعية التاريخية، ما يؤهلها لمواصلة تسيير المجتمع المزابي الجزائري، بكل نجاح في المستقبل، وذلك بتجسيد بعض الإصلاحات التي سنذكرها لاحقا، وعلى رأسها التنسيق والتكامل مع الجمعيات الرسمية المعتمدة التي أصبحت واقعا معاشا، لا يمكن إنكاره، وتنظيما رسميا مفروضا، لا يمكن الاستغناء عنه، كما أن التنسيق بين الهيئات العرفية، والجمعيات الرسمية، ضرورة لمنع الانبهار بالنظم الدخيلة المستحدثة التي تخضع للإرادة السياسية والتقلبات الإدارية، ولذلك لا يعقل التخلي على نظم عريقة أثبتت جدارتها عبر القرون وهي منسجمة مع النسيج الاجتماعي ولها تأصيل شرعي من ديننا الحنيف، والانبهار بالجديد وترك النظم العريقة قد يكون من قبيل قول ابن خلدون: "أن المغلوب مولع بتقليد الغالب"، وهذه من نتائج العولمة الفكرية وضرورة التنسيق والتكامل نراه من الحتميات للأسباب التالية:

أ- حتمية الجمعيات الرسمية وضرورتها:

1. الجمعيات هي القناة الرسمية للدولة لكي تقوم بتنظيم كل النشاطات الثقافية والاجتماعية والرياضية والخيرية في المجتمع ومراقبتها.

2. قوانين الحركة الجموعية وطنية تطبق على كل ولايات الوطن ويصعب إيجاد تشريع خاص بالمجتمع المزابي يتعامل مع الهياث العرفية.
3. المراسلات الرسمية تتم عبر الجمعيات المتخصصة من قبل الجهات الوصية كالوزارات والمديريات المركزية، ولا يمكن أن تكون إلى العشيرة العرفية.
4. الجمعيات هي الواجهة الرسمية التي تحمي الهياث العرفية من الصدمات المحتملة من تعسف رجال الإدارة أو البيروقراطية.
5. ليست للعشيرة نظم محاسبية دقيقة يمكن أن تقدمها للإدارة في حالة وجود شكوك أو تظلمات من المواطنين أو أي جهة أخرى.
6. تطور المجتمع المزابي وظهور تخصصات علمية وتقنية وفنية متخصصة يصعب على العشيرة تبنيتها أو حتى التفكير فيها مثل: جمعيات الأمراض المزمنة، كجمعية مرضى السكر، ومرض الكلى، وجمعية الأطفال المتخلفين ذهنيا، وجمعية المعوقين، وجمعية المكفوفين، والجمعيات العلمية كالجمعية الفلكية، وجمعيات الفن، والمسرح، وجمعيات حماية البيئة.
7. الجمعيات هي وسيلة التواصل مع باقي المجتمعات غير المزابية محليا ووطنيا وحتى دوليا.
8. الجمعيات وسيلة للحصول على الإعانات المالية من الدولة كباقي المجتمع الجزائري.
9. الجمعيات أفضل وسيلة لتسيير أوقافنا في مدن الشمال لضمان استمرارها كشخصية اعتبارية لها أملاكها الخاصة منفصلة عن الأفراد، عند اختلاف الجماعات أو تغير الأشخاص.
10. الجمعيات أفضل وسيلة للقيام بالنشاط الرسمي والحصول على الرخص من الإدارة بكل سهولة.

ب- التنسيق والتكامل بين العشيرة والجمعيات:

1. تنشيط كل العشائر باسترجاع اختصاصاتها.
2. هيكلة إدارات العشائر وتطعيمها بالإطارات الشابة.
3. تقنين قانون أساسي و نظام داخلي لتسيير العشيرة.
4. توفير مجال النقد وقبول الرأي الآخر وتوسيع مجال الشورى.
5. على الأعيان في كل مدينة وضع ميثاق التنسيق بين الجمعيات الرسمية والهياث العرفية، ينص فيها على العلاقة بين مجلس العزابة ومجلس العيان ثم العلاقة بين العشيرة وكل الجمعيات العرفية والمعتمدة وكذا العلاقة بين مجلس الأعيان والبلدية.

6. على المشرفين على الجمعيات العمل بالتنسيق مع العشائر، وألا يغتروا بترأس الجمعيات أو للختم الممنوح لهم من الولاية.
 7. على الحركة الجمعوية في المجتمع المزابي إقناع مسؤوليها المحليين والمركزيين بخصوصيات المجتمع المزابي، التي يصرح بها كل المسؤولين في كل المناسبات.
 8. على كل عشيرة تشجيع أبنائها للانخراط في الجمعيات.
 9. يمنع على الجمعيات التدخل في اختصاصات العشائر.
 10. على أعيان كل بلدة الاستفادة من تجارب المدن المزابية الأخرى.
 11. سبقت لهيئاتنا العرفية قديما وتعاملت مع الجمعيات الرسمية في المجال التربوي كمؤسسة عمي سعيد، وجمعية الإصلاح، وجمعية الحياة، وجمعية الفتح، وجمعية النور، والاستقامة، والنهضة.. كما تعاملت بسهولة ويسر مع التنظيمات الكشفية والجمعيات الفنية كالبلابل ونفس الكلام مع المدارس والمعاهد.
- ملاحظة:

هذه مجرد آراء وخواطر وتصورات شخصية قابلة للنقد والإثراء، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمني ومن الشيطان، ورحم الله عبدا أهدي إلي عيوبي.